بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

«تَنبيهُ الأَفهامِ إلى مَا في مَقالِ بويران مِن الأَغلاطِ الجِسامِ»

بقلم: خَالد فُضيل
السَّنة الثَّالثة دكتوراه ـ قسم العقيدة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعت على ما كتبه إبراهيم بويران في مقاله: «نصائح لمن انتقده بعض أهل العلم» فوجدت فيه ما يخالف القرآن والسنَّة وما كان عليه السَّلف رضوان الله عليهم، وخلط فيه تخليط من هاج به البرسام، فأبرم ما نَقَضَهُ دينُ الإسلام، من ردِّ حجج عبدةِ الأصنام، فنسأل الله السَّلامة والعافية.

وبيانا لذلك أقول:

نقل إبراهيم مقالا طيِّبًا للمزروعي -وفَّقه الله-، ثم علَّق على مواضعَ منه، فكان ممَّا قاله تعليقا على الفقرة الأولى : «و إذا كان مما يُعَدُّ مصيبة على طالب العلم أن يتكلم فيه بعض العلماء و المشايخ».

أقول: هذا إنما يكون مصيبة إذا كان طالب العلم معلقا قلبه بمدح الناس وذمهم، فإذا تكلم فيه بعض العلماء أظلمت عليه الدنيا، وجعل فتنة الناس كعذاب الله، أما إذا كان مخلصا لله في دعوته فإن نظره يتجاوز كون العالم تكلم فيه أو لم يتكلم فيه، بل يكون نظره إلى ما انتُقد عليه هل حقا أخطأ فيه أم أصاب ؟

لكن لما دخل الزَّغل، وصار الطالب يطلب ليُحصِّل الشهرة والمكانة، صَوَّب نظره إلى مدح العالم وذمه، ولو كان همُّه رضا الله والدَّار الآخرة لصوَّب نظره إلى إصابة السُّنة أو إخطائها، لا إلى

مدح العالم أو قدحه، فإن العالم لن يغنيَ عنه من الله شيئا، وهذا من مداخل الشيطان على العبد حتى يوقعه في الشرك، فليُعلم هذا.

وأمَّا ما ذكره من أمر التوبة والإنابة؛ فإنها من أعظم العبادة، إلا أن موضعها فيما إذا تكلم فيه العالم بغير حجة ولا موجِب، فيراجع نفسه لعله أن يكون قد أتى ذنبا من جنس ما أصابه، ويجعل الله له ذلك كفارة له، ووبالا على من تكلم فيه.

أمَّا إذا تكلم فيه وأبان عن حجة ما، فالواجب على الطالب أن ينظر في تلك الحجج، لأنه موضعه، ويستعين بالله في بيان الحقِّ له، أما أن يسمع بكلام عالم فيه فتقع عليه مصيبة أعظم من مصيبة معصية الله؛ فهذا –والله- الخلل المبين.

ثمَّ قال: «ويُراجع نفسه، و يجعلها محلَّ التهمة بدل من أن يتهم العلماء، و يسيء الظن بنفسه الأمارة بالسوء و لا يسيء الظن بالعلماء، و يعود باللوم على ناصيته الخاطئة الكاذبة فهي أولى بسوء الظن من العلماء النزهاء، و ليفتِّش عن مكامن الخلل في نفسه و مواطن الزلل، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }[سورة الأنفال : 53]».

أقول: وهذا كله لا محل له في هذا الموضع، بل الواجب أن ينظر في حجج القرآن والسنة ليعلم شرع الله في ذلك مستعينا بالله أن يُبصِّره، أمَّا أنه لم يعلم إلا أنه تُكُلِّم فيه، فيكون همُّه متجها إلى حسن الظن بالعلماء وعدم إساءته فلا، لأنه ليس موضعه، والعلماء يحسن الظن بهم مطلقا، وهذا المقام مقام نظر في الأدلة، وقد تواتر عن السلف أنهم كانوا ينقد بعضُهم بعضا فينظرون في الحجج، ويتناظرون فيما انتُقد عليهم، ليتبين الخطأ من الصواب، من غير أن يكون لهم التفات إلى ما ذكرته في هذا الموضع.

ثم إن بويران نظَّر العلماء بالأمراء، فقال: «و لاشك أن العلماء معدودون في ولاة الأمر في قول كثير من الأئمة و العلماء، وإذا كان الأمر كذلك فيُؤمر بالصبر تجاههم من باب أولى، و يُنهى عن انتقاصهم و ذكر معايبهم بل هم أولى بالعذر من الأمراء! لو فُرِض وقوع بعضهم في شيء مما وقع فيه الأمراء تجاه بعض إخوانهم».

قلت: وهذا خلط عجيب لم يأت في كتاب ولا سنة، بل قد دلّا على خلافه والله المستعان، فإن الشرع جاء بطاعة الأمراء في غير معصية، والصَّبر على ظلمهم وبغيهم درءا للفتنة،

وإقامة لحياة الناس،والله عزوجل يقتص من الظالم يوم القيامة، أما العلماء فالله عزوجل أمرهم بالعدل، و هم أبعد الناس عن العذر في غير مواطن الاجتهاد، لأنهم أعلم بالله وبشرعه من غيرهم، وكلما عظمت الحجة قلّ العذر، وقد قال الله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾، قال قتادة: «اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره».

فلو فرض أن عالما وقع في شيء مما يقع فيه الأمراء تجاه إخوانه لكان ذلك العالم إنما وقع فيما وقع فيه بجهالة، والله عزَّ وجل كلَّف جميع الخلق على حدٍّ سواء، وقد ذم الله عزَّ وجل العلماء الذين يبغون على الخلق، قال الله تعالى: ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾، قال ابن كثير :«أي من بعد ما قامت عليهم الحجج، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض».

فأولى الناس بعدم العذر العالم، لأن حجج الله أقوى عنده، والزَّاجر أعظم، والدافع أقلَّ، أَوَ ما قرأت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» [رواه مسلم]، وقول الله تعالى: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾.

وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[رواه مسلم]، أفبعد هذا قولٌ لقائلٍ؟! فالله تعالى حرَّم الظُّلم على جميع الخلق عالِمهم وجاهِلهم، والعالم أشدُّ في حقِّه.

وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» [رواه مسلم]، أفتُجري هذا الحكم على العلماء كما تجريه على الأمراء؟!

فانظر إلى ما جاء في القرآن والسنة، وإلى ما في كلام بويران.

ثم قال: «و هاهنا درسٌ عظيمٌ من إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فانظروا رحمكم كيف أحسن ظنَّه بمن تكلَّم فيه و طعن فيه، ممن هم أهلٌ لأن يُحسَن بهم الظن، حيث سَأل بعضَ تلاميذه : من أين أقبلتم؟ قالوا: من مجلس أبي كريب فقال: اكتبوا عنه؛ فإنه شيخ صالح، فقالوا: إنه يطعن عليك!! قال: فأي شيء حيلتي؟! شيخ صالح قد بُلي بي!!».

وأقول:

يُقضَى على المرء في أيَّام محنته ./. حتَّى يرى حسنًا ما ليس بالحسنِ

قرَّر مسألة (وهي صبر الطَّالب على الشَّيخ) ثم استدلَّ لها بما يفيدُ ضدَّها، فالإمام أحمد هو العالم الجبل، وأبو كُريب دونه، فهذا درس لصبر العالم الرباني على من دونه من أهل العلم، وأن لا ينتصر لنفسه ولو بُغِيَ عليه، وما سمعنا أن ابن عباس رضي الله عنهما تكلَّم في أبي سلمة بن عبد الرحمن، مع أنه كان يسأله ويعترض في المسائل عليه، وهكذا الصالحون من عباد الله، وليس هذا من صبر الطالب الذي تُكلِّم فيه على العالم في ظلمه له.

ثم قال معلِّقا على النقطة الثانية: «فقد يتسرَّع طالب العلم في الرَّد على العالم، لقصد تبرئة نفسِه، مما يرى نفسه بريئة منه، و إبعاد التُّهمة عنها، ـ وقد لا يكون بريئًا ـ فيقع في نسبة الباطل و الظلم إلى المشايخ، و تثبيت التُّهمة فيهم! مما يُسقِط هيبتهم، ويُزعزع ثقة الناس بهم، فيجني بذلك على الدعوة، والذي ينبغي للسلفيِّ أن يكون شِعارُه: في رأسي و ليس في رأس المشايخ، في رأسي و ليس في رأس الدعوة، حتى يقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا، وقدرًا مقدورًا».

وأقول: إن الله قد بيَّن لكل ذي حق حقه، وشرع لآحاد الناس الذبَّ عن نفسه وردَّ التهمة إذا كان بريئا، خاطب الناس جميعا على حدٍّ سواء، قال الله تعالى:﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ و«من» يدخل فيها العالم والجاهل، وفي الحديث: «فقد استبرأ لدينه وعرضه»، وقال تعالى:﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾، فلو أن عالما اتَّهم غيره بخيانة فتبرَّأ منها، أفيقال له لا تتبرأ حتى لا تثبت التهمةُ فيهم فتسقط هيبتهم وتزول رئاستهم؟! أَوَ ما علمت يا بويران أن هذا من أسباب هلاك الأمم؟! أو ما سمعت قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» [رواه البخاري].

وأما كون هذا جناية على الدعوة فلا والله، بل حماية لها، والله عز وجل يغار على دينه أن يترأَّسه الظالمون، فإذا تزعزعت ثقة الناس فيمن ظلم أقبلوا على من لا يظلم، حتى يكون القدوة

لهم هو العادل دون الظالم، بخلاف ما لو بقي الظالم على حاله، والناس ترى من ظلمه لهذا وذاك ما ترى فتقتدي به في ظلمه فيعظم إثمه، ويكثر البغي بين الناس، ولقد كان أهل الجاهلية يأنفون عما تدعو إليه من السكوت عن الظالم إذا كان من العلماء أو الأكابر، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قَالَ: **«شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ»** [رواه أحمد، وصححه الألباني]، قال مُحَمَّدِ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيّ: «وَأَمَّا حِلْفُ الْفُضُولِ، فَإِنَّ قَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ: بَنُو هَاشِمٍ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ، وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، وَزُهْرَةُ بْنُ كِلَابٍ، وَتَيْمُ بْنُ مُرَّةَ، فَتَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى أَنْ لَا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا قَامُوا مَعَهُ، وَكَانُوا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، حَتَّى يَرُدُّوا عَلَيْهِ مَظْلَمَتَهُ»، فهذا ما كان عليه أهل الجاهلية، وذاك ما جاء به الإسلام، فلا أنت وافقت أهل الجاهليَّة ولا أهل الإسلام.

ثم إن العالم إذا استطال في أعراض الخلق سواء كانوا دونه أو فوقه فاعلم بقُرب عقوبته، وزوال رياسته، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»** [رواه أحمد]، ورُوي عن شعبة وأبي داود أنهما قالا: «من جر ذيول الناس بالباطل جروا ذيله بالحق»، وأرسل النبيُّ صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن وهو العالم ليعلمهم، فقال له: **«واتَّق دعوة المظلوم»**.

ثم إن الدَّعوة لا يحميها المشايخ يا بويران! وإنما يحميها الله عزوجل، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولو لم يُخلق البخاريُّ ومسلمٌ لم ينقص من الدِّين شيء» [منهاج السُّنة 215/7]، فكيف بالمشايخ؟! فابن تيمية لفَت إلى التعلق بالله، أما أنت فغَلَوْت في هذا الباب غلوَّ أرباب البدع، حتى لم يكن لك التفات إلى الشرع، بل إلى ما قرره المشايخ، ويا ليتك ميزت بين مراتبهم لتعرف منازلهم، وتفرق بين متقدِّمهم ومتأخِّرهم ومعاصرهم.

ثم قال وليته ما قال: «ويُعجِبُني هنا موقفٌ جيِّدٌ يستحقُّ أن يُذكر فيُشكر، لأخينا الفاضل الشيخ بشير صاري وفقه الله حيث وبمجرَّد أن بلغه بأن الشيخ عبد المجيد جمعة تكلَّم فيه على حسَبِ ما ذكرَه هو في البيان الذي نشرَه بخطِّه و صوته، وقبل أن يقِف على ذلك بصوت الشيخ

أو خطِّه، قال بعد مقدمة طيّبة: «..وطَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالاسْتِجَابَةُ لَهُمْ وَاحْتِرَامُهُمْ وَتَقْدِيرُهُمْ وَتَوْقِيرُهُمْ وَالإِذْعَانُ لَهُمْ وَالامْتِثَالُ لَهُمْ وَالرُّضُوخُ لَهُمْ وَالرِّضَى بِمَا قَرَّرُوهُ هُوَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ مَنْهَجِيٌّ أَسَاسِيٌّ جَوْهَرِيٌّ نَقِيٌّ دَعَا إِلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ..».

وأقول: هذا رأيٌ رآه الشَّيخ بشير ـ وفقه الله ـ، والحقيقة أنه موقف سيئ لا ينبغي أن يذكر إلا ليُنكر، ولم يدلّ عليه كتاب ولا سنة، ولا كان عليه السلف، بل هذا الذي كان عليه أهل الشرك والبهتان، وأمة الغضب والضلال، أَوَ ما قرأت القرآن؟! وما ذكر فيه من حجج المشركين، وأنهم كانوا يحتجون بعبادتهم الأوثان بحجتك التي تدين بها، وهي طاعة العلماء فيما قرروه والاستجابة لهم والرُّضوخ والإذعان، أَوَ ما علمت أن الله ذكر في القرآن أن سبب كفر اليهود والنصارى هو ما تقرره من قواعد؟! وأن الله سماها عبادةً للأحبار والرهبان، أَوَ ما علمت أن من الطاعة ما يدخل في الشرك؟! وأن الله قال: ﴿وإن أطعتموهم إنكم إذا لمشركون﴾، فهذه القواعد ليست من قواعد الإسلام، وإنما هي من قواعد المشركين في كتاب رب العالمين وسنة نبيّه الأمين صلى الله عليه وسلم، التي سار عليها أهل الرَّفض والتَّصوف؛ فجاء بويران ليدخلها في مذهب أهل السنَّة، وهيهات هيهات أن يتم له ذلك.

إن قاعدة الشريعة هي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» وهذا نكرة في سياق النَّفي فيعمُّ، وقد تواتر عن السلف النهي عن اتباع زلة العالم، هذا ليدلك على أنَّ الأصل الذي يُدار حوله هو الكتاب والسُّنَّة، وأن العلماء إذا وافقوا الكتاب والسنة سُمِع لهم، وإذا خالفوا الكتاب والسنة ردَّ قولهم.

وليُعلم أنَّ هذا السِّياق الذي في المقال فيه من الجناية على التَّوحيد ما فيه، أَوَ ما تَرى أن الله ذكر الاستجابة له ولرسوله؟! قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾، وقال سبحانه: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أَوَ ما علمت أن الرضوخ يكون لله وحده دون غيره في هذا السياق؟! فإنَّه بمعنى الاستسلام والذِّلة، وكذا الإذعان، وهو داخل في الجملة في قول الله تعالى:﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ وقوله: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ وقوله:﴿ومن يسلم وجهه لله﴾ وغيرها من الآيات، ولو فرضنا أنها على غير هذا المراد، فإنها لن تخلو من شائبة الشِّرك اللفظي، الذي جاء النَّهي عنه، كما

جاء عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن شَرَّكه في المشيئة لفظا: **«أجعلتني لله ندًّا؟! بل ماشاء الله وحده»**، وقال للخطيب: **«بئس خطيب القوم أنت»** لما قال الخطيب: «ومن يعصهما فقد غوى»، فليت شعري ما تُراه صلَّى الله عليه وسلَّم يقول لو سمع ما في هذا المقال من سياق مَشين؟! ولو نظر القائل في كتاب الله لما وجد هذا الجمع من الألفاظ مجموعا لنبيّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فكيف لمن سواه؟!

وفي سنن أبي داودَ عن مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: فَقُلْنَا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: **«السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»** قُلْنَا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا»، فَقَالَ: **«قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»**، فانظر إلى دعوة النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وقارن بينها وبين دعوة بويران!

وليَعلم من وقف على هذا الكلام أنِّي لا أتَّهم بويران جزافا، فالرجل **كأنَّه** يصدر عن منهجٍ صوفيٍّ زائغ، سار عليه هو ومن شايعه من تقديس للأشخاص في مقابلة القرآن والسنة، وانظر ما ذكره بعد ذلك من إعلان التوبة والاستغفار والرجوع من غير معرفة ما أخطأ فيه، ولعل النَّاقد أن يكون هو المخطئ، وإنما يصحّ هذا الكلام لو عُلم أن النَّاقد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يوحى إليه، كما قال الصديق رضي الله عنه لقريش عن الإسراء: «إن كان قالها فقد صدق».

فانظر إلى هذا المسلك القبيح، وكيف يهوي بأصحابه في دركات البدع والضلال، وهل ترك هذا الرجل للإماميَّة والصوفيَّة من شيء فيما ذهبوا إليه؟! وهل فارق بمذهبه هذا مذهب النصارى في هذا الباب؟! فنسأل الله العافية من هذا الغلوِّ الذي يضع صاحبه من حيث يريد أن يرتفع.

وممَّا انتشر من الانحراف في هذا الباب، وسلوك مسالك الصوفية في ثوبٍ سني قول: «البركة مع الأكابر» في سياق لزوم أقوالهم، وهذه الكلمة حق، وهي نص حديث نبوي لفظه: **«البركة مع أكابركم»** [الصَّحيحة 1778]، ومحلُّه فيما هو متعلِّق بتقدير المصالح والمفاسد، وبما لا نصَّ فيه؛ مما هو من باب الخبرة والتَّجربة، أما أن تكون المسألة من المسائل التي وردت فيها النُّصوص فإنَّ البركة مع النصِّ لا مع الأكابر، فمن قال بالنصِّ كانت معه البركة، وهذا نبي الله عيسى عليه

السلام قد أخبر الله أنه مبارك،قال تعالى: ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت﴾، وقد رفعه الله في سنِّ الشَّباب، وإذا تعارض كبر السن وكبر العلم، فكبر العلم هو المقرون بالبركة، ببركة القرآن والسنة التي بين جنبيه، أما أن يقال في مسائل العقيدة والمنهج «البركة مع الأكابر» مطلقًا من غير نظر إلى ما عند من خالفهم من نصوص فهذا هو دين الصوفية والروافض.

وهذا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما أكبر كبراء الأمَّة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، يقول ابن عباس رضي الله عنهما وهو من صغار الصحابة: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبوبكر وعمر!»، و أهل السُّنة يقولون قال الله، قال رسوله، وهذه الشِّرذمة تقول: قال كبارنا ومشايخنا، حتى صار الرجل إذا ذكر مسألة، واستدل لها، وبيَّن وجه الدليل فيها، ولعله أجاب عما يعارضها، ضُرب في وجهه بصنم التَّقديس، وهذا مقال بويران خير شاهد لما أقول، فإن أوَّلَ شيء يذكر من النصائح لمن انتقده بعض أهل العلم هو أن ينظر في شريعة النَّبي صلى الله عليه وسلم، هل هو موافق لها أو الموافق لها من نقده؟ وهذا الذي جاء به الإسلام وكان عليه السَّلف، لكن لما تشرب قلبُه طريقة أهل البدع لم يخطر بباله، ولم يَرِد على قلبه هذا المعنى، بل ذهب يُرِدِّد قواعد المتصوفة في تقديس الأشياخ.

ثم إن المنع من الرَّدِّ على الأكابر مطلقا على طريقة «اعتقد ولا تنتقد» هو في حقيقته سدٌّ لباب الرَّدِّ على أهل الأهواء والبدع، فإن الكتاب والسنة ووقائع التاريخ تشهد بأن كثيرا من الأكابر قد يقع في البدعة والانحراف، فلو لم يُعترَض عليه ويُرَدَّ لدخل ذلك في دين الله سبحانه، و لصار كل من اشتهر وكُبِّر يقول ما يشاء كما هو معلوم عند الرَّوافض والصوفية.

وما من مبتدع أراد أن يُحدِث في دين الله إلا سلك هذا المسلك، فهذا ابن سبأ غلا في أهل البيت أوَّلَ أمره، وهؤلاء الصوفية على هذا النحو، وكذا كل فرقة تعظم أشياخها لتتوسل به إلى الابتداع في الدين، حتى يصر الدين لا يخرج عن حكم الشيخ، ولن يمنع الدين إلا هدم هذا الصنم الذي يراد به مضاهاة شرع رب العالمين.

ومِمَّا نشأ من انحراف في هذا الباب أمر الصِّغار بالاعتذار من المشايخ و الأكابر، وهذا أيضا دين الصوفية، أما الذي جاء به الإسلام فهو اعتذار الظالم من المظلوم مطلقا، صغيرا كان أو كبيرا،

وقد كان الرجل يكون من أشدِّ الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم فيأتي ليسلم، فيقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ»، فيقول النَّبِيُّ صلَّ الله عليه وسلّم: **«عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ»** [رواه أحمد، وفي إسناده ضعف]، ويقول الصوفية ومن تشبه بهم: أساء الأدب مع المشايخ والأكابر، وفي حديث الإفك أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قَالَ لعائشة: **«يَا عَائِشَةُ! احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ»**، قالت: «فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّ الله عليه وسلَّم، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ»،فلم يُلزِم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أحدًا بالاعتذار، وهكذا أكثر ما جاء في إسلام الصَّحابة كانوا يقرُّون بالشهادتين فيَقبلُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ذلك، أمَّا إذا تعلق الحقُّ بالمخلوق في عِرض، أو دم، أو مال، فهذا الذي يكون فيه التَّحلُّل والاعتذار، سواء كان الباغي كبيرا أو صغيرا، عالما أم جاهلا، وهذا أبو بكر أكبر الأكابر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ روى أحمد عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ سَلْمَانَ وَصُهَيْبًا وبِلَالًا كَانُوا قُعُودًا فِي أُنَاسٍ، فَمَرَّ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالُوا: «مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا بَعْدُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا؟» قَالَ: فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فَقَالَ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، فَلَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»** فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَيْ إِخْوَتَنَا! لَعَلَّكُمْ غَضِبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا يَا أَبَا بَكْرٍ!يَغْفِرُ اللهُ لَكَ»، فانظر كيف جاء رضي الله عنه يَتَحَلَّلُ من إخوانه، مع يقيننا أنه أفضل الأمَّة بعد نبِّينا صلَّى الله عليه وسلم، وكما قال ابن المبارك: «بيننا وبين القوم؛ القوائم»، وقوائمنا كتاب الله، وسنَّة نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومن الخطأ في هذا الباب وهو متعلِّقٌ بما تقدم: **التَّوسُّع** في إطلاق لفظ الوالد على المشايخ والعلماء، فالشَّرع جاء بوجوب برِّ الوالدين وترك عقوقهم، وبوجوب صلتهم والنفقة عليهم بشرطه، وغير ذلك من الأحكام المنوطة بسبب هذا الاسم وهو الولادة، فأخذ من هذا من لم يتحرَّ العلم من مظانِّه أنَّ العالم والدٌ مطلقًا، وأنه يجب طاعته ويحرم عقوقه، بل والتأفُّف منه!! وهذا خلط في أحكام الشَّريعة نظيرُ ما حدث لبويران في الصَّبر على جور العالم، وهو انحرافٌ مبنيٌّ على تحريف، فهذا كتاب الله، وهذه سنَّة نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم جاء فيهما ذكر العلماء فيما لا يكاد يحصر، ولم يأت في موضع من المواضع إطلاق لفظ الوالد عليهم، بل جاء ما يدل على عدم إطلاق ذلك،

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أشفق علينا من آبائنا وأمهاتنا، ومن أنفسنا، وأعلم خلق الله بالله، ولم يُقل له إنه والد، وهذا ربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿ويعلمكم الله﴾، ويقول: ﴿لم يلد ولم يولد﴾، فنفى سبحانه أن يلد أو يولد، مع أنه معلمنا، ولا يحل أن يقال عنه أنه والد إلا على مذهب قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، لأن الوالد من اتصف بوصف الولادة، وهما الأب والأم،قال الله تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ أما العالم فقد يكون وصفه بالوالد ممايقوله الناس بأفواههم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وقال الله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ ولم يقل: والداتهم، لأن الله يقول الحق، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من علماء الأمة وأكابرها، ولا يقال عندهن أنهن والداتنا، ولو فتح هذا الباب لربما دخل منه النصارى إلى تصحيح مذهبهم ولو في اللفظ فقط.

ثم إن هذا الإطلاق لم ينتشر إلا في السَّنوات الأخيرة، ولم يكن معهودا من قبل.

ثم جاء بعد ذلك من يريد أن ينزل أحكام الوالدين على العلماء في اللفظ والمعنى، فدخل في قول الله تعالى: ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾، وقال سبحانه: ﴿إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا﴾، فسمَّاه الله منكرا من القول وزورا.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّما أنا لكم كالوالد» ولم يقل: أنا والدكم، لأنه صلَّى الله عليه وسلَّم يقول الحقَّ.

ثم قال معلقا على الفقرة الرابعة: «و مما هو معلومٌ من قواعد الشريعة تحمُّل الفتنة الخاصة التي تعود على شخصٍ أو شخصين أو ثلاثة، لدفع الفتنة العامة التي تعود على الدعوة الأم، و احتمال أدنى المفسدتين لدفع أكبرهما».

قلت: إيراد مثل هذه القاعدة في هذا الموضع هو من قواعد الصوفية عَبَدة المشايخ، وقوله: «من قواعد الشريعة» فليست من قواعد شريعة محمَّدِ بن عبد الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وإنما هي من قواعد غيره، أما قواعده صلى الله عليه وسلم فقد بينها في هذا الباب بقوله: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» الحديث، وقول ربِّنا تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، وغيرها من النُّصوص الدَّائرة في هذا الفلك، لكن لما تجذَّر في الكاتب تقديس المشايخ بما **يقارب** تقديس أهل الجاهلية

لأشياخهم صارت أحكامه وقواعده على هذا النَّحو، والله عز وجل يقول: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾، وبويران بلسان حاله يقول: فحكمه إلى المشايخ، وأهل الجاهليَّة يقولون: فحكمه إلى كاهن بني فلان.

وإذا نظرت إلى حال أصحاب هذا المذهب تجد ذكرهم للمشايخ، وتعظيمهم، واحترامهم، وتبجيلهم، والإذعان لهم، والرضوخ أعظم من ذكرهم لله سبحانه، والله عزوجل خلقنا لتعظيمه وتقديسه.

ثم استدلّ بما في [السنة" للخلال(1 /132)] عن الإمام أحمد زمن المحنة، أنه قال: «الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء! ويستباح فيها الأموال! وينتهك فيها المحارم! أما علمت ما كان الناس فيه يعني أيام الفتنة، فقيل له: والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبدالله؟! قال: وإن كان فإنما هي فتنة خاصة فإذا وقع السيف عمت الفتنة..»انتهى.

وهذا لا حجَّة فيه أيضا، لأنه يتعلَّق بوليِّ الأمر، لكن لما اختلط عليه الفَرقُ بين أحكام وليِّ الأمر وأحكام غيره صار يضرب ضرب عشواء في ليلة ظلماء.

فهذا ما دعا إليه بويران في مقاله هذا، ووالله؛ إنَّ ما دعا إليه لم ينزله الله عزَّ وجل في كتاب من كتبه، ولا أرسل به رسولا من رسله، من لدن آدم إلى نبينا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، فإنَّه سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه لتوحيده وتسبيحه وتقديسه، ونقض الشرك وهدِّ أركانه، ولكن هذه الدَّعوة التي ينادى بها مما أوحاه الشياطين إلى أوليائهم.

ثم ليعلم أصحاب هذه الطريقة الزَّائغة أن الناس يُقبِلون على السَّلفية لأنَّ شعارها: «قال اللهُ، قال رسولهُ»، فلمَّا أراد أصحاب هذه الطريقة أن يحِّرفوها وصار شعارهم: «قال المشايخ»، أعرض من أعرض عن السَّلفية، وضعفت شوكة أهلها.

فالحقُّ هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه سبحانه وتعالى، ولا يزال لله قائمٌ بالحجة، ثابتٌ في مستقرِّ الحقِّ، وهؤلاء هم أهل الحقِّ وأنصارُه، رايتهم مرفوعة، وألويتهم معقودة، ومعاركهم مع أهل الباطل مشهودة، ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾، ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ، والحمد لله رب العالمين.